والله تعالى خالقها أي موجد أفعال العباد وفق ما أراد لقوله تعالى الله خالق
كل شيء أي ممكن من آلة العقل وفعل العبد شيء ولقوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق
أي الذي يصدر منه حقيقة الخلق ليس كمن لا يصدر منه خلق في شيء وهذا في مقام
التمدح بالخالقية وكونها سببا لاستحقاق العبادة وقوله والله خلقكم وما
تعملون أي عملكم أو معمولكم وبه احتج أبو حنيفة على عمرو بن عبيد وفي حديث
رواه الحاكم ومحمد البيهقي من حديث حذيفة مرفوعا أن الله صانع كل صانع
وصنعته ولذا وبخهم سبحانه بقوله أتعبدون ما تنحتون أي ما تعملون من
الأصنام وبقوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق ولأن العبد لو كان خالقا لأفعاله
لكان عالما بتفاصيلها كما يشير إليه سبحانه بقوله ألا يعلم من خلق وقول علي
كرم الله وجهه عرفت الله بفسخ العزائم ولقد أخرج المعتزلة حيث صرفوا قوله
تعالى الله خالق كل شيء إلى صفة الله حتى قالوا إن كلامه مخلوق ولم يصرفوه
إلى صفات الخلق حتى قالوا إن أفعال العباد غير مخلوقة لله وأما قوله تعالى وما رميت
إذ رميت ولكن الله رمى فمعناه ما رميت خلقا إذ رميت كسبا ولكن الله رمى
خلقا كسبا أي مني في المعنى قال في الوصية نقر بأن العبد مع أعماله وإقراره
ومعرفته مخلوق فلما كان الفاعل مخلوقا فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة انتهى
وبيانه على وجه يفهم برهانه هو أن علة افتقار الأشياء في وجودها إلى الخالق
هي إمكانها فكل ما يدخل في الوجود جوهرا كان أو عرضا هو ممكن في عالم الشهود
ولما كان العبد مفتقرا بذاته لإمكانه يستعين الوجود في شأنه من الخالق عز شأنه
فأفعاله القائمة به أولى أن يستعين الوجود من خالقه وهذا معنى قوله تعالى والله
الغني أي بذاته وصفاته عن جميع مصنوعاته وأنتم الفقراء أي المحتاجون بذواتكم
وصفاتكم وأعمالكم وأحوالكم إلى الله أي إلى إيجاده في ذواتكم وأمثاله في ذواتنا فتأمل
لا انتهاء ثم اعلم أن إرادة العبد التي تفارق فعله وقدرته عليه حال صنعه
مخلوقتان مع الفعل لا قبله ولا بعده جميعا الوصية نقر بأن الاستطاعة مع الفعل
لا قبل الفعل ولا بعد الفعل لأنه لو كان قبل الفعل لكان العبد مستغنيا عن الله سبحانه
وقت الفعل وهذا خلاف النص أي خلاف حكم النص كما في نسخة لقوله تعالى والله الغني

وانتم

وأنتم الفقراء ولو كان بعد الفعل لكان من المحال حصول الفعل بلا استطاعة
ولا طاقة انتهى والمعنى أن حصول الفعل بلا استطاعة من قبل الله تعالى ولا
طاقة لمخلوق فيما لم يعن الاستطاعة الأمنية بفعله على مقتضى ضعف
البشرية وقوة الربوبية وهذا معنى قوله لا حول ولا قوة إلا بالله أي لا حول
عن معصية إلا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بإعانته وقال في الوصية
ثم نقر بأن الله تعالى خالق الخلق ورازقهم ولم تكن لهم طاقة لأنهم ضعفاء
عاجزون محدثون والله تعالى خالقهم ورازقهم لقوله سبحانه الله الذي خلقكم
ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم والكسب من الحلال حلال وجمع المال من الحرام حرام
والخلق على ثلاثة أصناف المؤمن المخلص في إيمانه والكافر الجاحد
في كفره والمنافق المداهن في نفاقه والله تعالى فرض على المؤمن العمل وعلى الكافر
الإيمان وعلى المنافق الإخلاص لقوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم ومعناه يا أيها
المؤمنون أطيعوا ويا أيها الكافرون آمنوا ويا أيها المنافقون أخلصوا انتهى
والأظهر أن الله خالق الخلق على أنه لا يجب له شيء على الحق فإنه سبحانه لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون وكان العياض أن يقال الفاعل يكون العبد خالقا لأفعاله يكون
من المشركين من الموحدين كما يشير إليه حديث القدرية مجوس هذه الأمة حيث ادعوا
أن للعالم فاعلين أحدهما الله سبحانه وهو فاعل الخير والثاني الشيطان وهو فاعل
الشر ولكن أفلح مشايخ ما وراء النهر مبالغة في تضليل المعتزلة حتى قالوا إنهم أقبح
من المجوس حيث لم يثبتوا إلا شريكا واحدا والمعتزلة أثبتوا شركاء لا تحصى لكن المحققون
على أن المعتزلة من طوائف الإسلام وحملوا ما ذكر على الزجر للاتباع لأنهم لم يجعلوا العبد
خالقا بالاستقلال بل يقولون إنه سبحانه خالق بالذات والعبد خالق بواسطة
الأسباب والآلات التي خلقها الله تعالى في العبد ولم يثبتوا الاشتراك بالحقيقة وهو
إثبات الشريك في الألوهية كالمجوس ولا بمعنى استحقاق العبادة كعبدة الأصنام
وأما قول المعتزلة لو كان الله خالقا لأفعال العباد لكان هو القائم
والقاعد والآكل والشارب والزاني والسارق وهذا جهل عظيم فإن الموصوف بأن
المتصف بالشيء من قام به لا من أوجده ألا يرون أن الله تعالى [illegible]

Copyright © King Saud University